المقـــــــــدمـــــة:

يعُدّ السلوك السياسي الخارجي لأي دولة ازاء غيرها من الدول في اطار العلاقات الدولية موجهاً لتحقيق غايات سياسية ، لذا فإن المملكة العربية السعودية سعت الى توسيع مجال نفوذها ، إلى ما يتعدى المنظومة الخليجية العربية ، إلى النظام الإقليمي في ظل ما شهدته المنطقة من تغيرات جيوسياسية مهمة ، فرضت على السياسة الخارجية السعودية تغيير منهجها الذي انتهجته على الصعيد الخارجي ، منذ عهد مؤسسها الملك عبد العزيز ال سعود عام 1902م ، بعد أن ظلت على مدى العقود السابقة قوة محافظة ، تسعى لإبقاء الحال على ما هو عليه في الشرق الأوسط ، عبر ضمان امن دول مجلس التعاون الخليجي ، والترحيب بالوجود الأمريكي في المنطقة ، غير أن هذه الخاصية التي صبغت السياسة الخارجية السعودية عبر عقود تغيرت بشكل تدريجي ، ووصل هذا التغيير إلى ذروته في المرحلة الحالية ، إذ تزايدت التحديات والأخطار نتيجة التغيرات الدراماتيكية ، التي لحقت بعدد من الملفات والقضايا الإقليمية ، ما زاد من تعقيد المشهد السياسي الإقليمي ، وأربك حسابات الدول الإقليمية .

انبثق عن التحول في سياسة المملكة العربية السعودية تغيير في مسار العلاقات الايرانية – السعودية ، فمنذ سبعينيات القرن الماضي ، مرت العلاقات الايرانية السعودية بمراحل مختلفة تميزت بالتعاون المحدود في اوقات معينة ، والعداء الصريح في اوقات اخرى ، وكان توازن القوى محركاً اساسياً للحسابات والسلوكيات المتبادلة والاقليمية للدولتين ، وبناء عليه ، عندما رجحت كفة ايران في الميزان ، نزعت السعودية الى موقف معادٍ لإيران ، في اوقات شهدت تعزيزاً للتعاون السعودي – الامريكي ، وشجعت الاضطرابات المتزايدة داخل طهران ، وعليه كانت سياسة الولايات المتحدة الاقليمية تؤثر في العلاقات الايرانية – السعودية ، وهكذا ، كلما اصبحت السياسة الامريكية اقل اتزانا سواء كان ذلك متصوراً ام حقيقياً تقل فرص التسوية بين الطرفين .

خاضت المملكة العربية السعودية عملية واسعة من إعادة النظر في سياساتها الخارجية الاقليمية وأولويات أمنها القومي ، في أعقاب التحول الذي طرأ على المنطقة بعد احتلال العراق عام 2003م ، وكانت هناك عدّة أسباب رئيسية جعلت المملكة العربية السعودية تحدث نقلة كبيرة في رؤيتها الاستراتيجية وسياستها الخارجية ، كالتحول في استراتيجية الولايات المتحدة ، بزيادة اهتمامها بشرق آسيا على حساب الشرق الاوسط بعد العثور على احتياطات نفطية هائلة ، ومحاولة المملكة مواكبة التغير في الدور الايراني في المنطقة التي حصلت بعد تداعيات احتلال العراق عام 2003م ، ومخاوف اندلاع تداعيات بسبب التحولات الاقليمية والدولية وتراجع النفط كمصدر قوة استراتيجية للمملكة ، وخشيتها من الاحداث الاقليمية التي حصلت بعد احداث الربيع العربي والتي قوضت الانظمة الاستبدادية ، التي نشأت في حقبة ما بعد التحرر من الاستعمار ، والخشية من انتقال تأثيراتها إلى الداخل السعودي ، فضلا عن التحول الداخلي في الاسرة الحاكمة في المملكة ، مع استعداد الجيل الثالث لتولي الحكم ، فضلا عن استياء المملكة من سياسة الولايات

المتحدة بسبب عدم اتخاذ إجراءات حاسمة حيال إيران والسماح بتطوير البرنامج النووي الايراني ، وأن ذلك سيدفع دول مجلس التعاون إلى الحصول على رادع نووي إذا ما نجحت إيران في امتلاك السلاح النووي .

اذ كانت المملكة عادّة تسعى الى ابقاء الوضع الراهن كما هو عليه ، في محاولة لدمج طموحاتها الاقليمية ضمن التوازن الاقليمي ، غير ان سياستها الجديدة لا تتماشى مع هذا التقليد ، فالمسار الجديد للملك سلمان الهادف الى كبح النفوذ الاقليمي الايراني وغياب التسويات المطلوبة بشدة في الازمات الرئيسية في المنطقة ، فان السياسة السعودية الجديدة تزيد عدم اليقين بشان مستقبل المنطقة ، وتستغل الفرص وفقاً لمصلحتها.

تغيرت الساسة الخارجية الاقليمية للمملكة العربية السعودية منذ بداية الالفية الجديدة ، وخاصة سياستها المتعلقة بالانخراط الاقليمي في المنطقة ، فهي لم تكن مسبقا بهذا النشاط الكبير في تحدي ميزان القوى في المنطقة ، ويرجع السبب في ذلك الى انها تدرك ان الميزان كان يتحول لصالح ايران ، فلا يمكن ان تسوء الامور اكثر مما تكشفت عنه من جهة نظر المملكة ، ففي حين ان الحرب السورية ضد تنظيم داعش انتهيا تقريبا لا تزال السعودية تصارع في الحرب اليمينة ، وتحاول استمالة قطر ومصر لمسايرة اولوياتها الاقليمية ، وبينما كانت الشراكة بين ايران وتركيا وروسيا فعالة للغاية فقد تشذرت تحالفات المملكة في اليمن وتحالفات " مكافحة الارهاب " ، وفي اثناء ذلك كانت المملكة تنظر الى ادارة الرئيس الامريكي ترامب بوصفه فرصة لمجابهة ايران ، اذ شجعت ادارة الرئيس ترامب السعوديين على التصعيد املاً في حدوث مواجهة سعودية – ايرانية ، ومن ثم حدثت ازمة قطر ، واستقالة رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري ، واتهام ايران بارتكاب اعمال عدوانية ، وتسبب هذه السياسة بغض النظر عن مدى فعاليتها ، في هز المنطقة بأكملها .

لقد شعرت المملكة العربية السعودية بالقلق الكبير من الاحداث في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن ، وتداعيات التدخل الايراني هناك ، فأول مرة أصبحت لإيران فصائل مسلحة موالية لها بأعداد كبيرة نسبيا في تلك البلدان ، وترى المملكة العربية السعودية أن الحكومة في العراق اصبحت موالية لإيران ، لذا قامت المملكة ببناء جدار أمني وحاجز بطول حدودها مع العراق ، كما رأت السعودية ان الحرب في سوريا على أنها كابوس أفرز الكثير من اللاجئين ، فضلا عن تدفق المقاتلين السُنّة وحولتهم إلى جهاديين متطرفين ، ما قد يؤدي إلى تقوية تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ويضاعف التهديدات على المملكة .

لذا فان تفاعلات القوى الاقليمية في المنطقة مثلث النفوذ (السعودي الايراني التركي) ، فضلا عن الدور الامريكي ، هي من ستؤدي إلى إعادة تشكيل المنطقة بصورة كبيرة ، وستعمل المحددات الداخلية والاقليمية والخارجية على تحديد أنماط الصراع ومخرجاته ، في ظل بيئة إقليمية ملتهبة تموج بالصراعات المذهبية والطائفية ، وهو ما حاولت موجات الربيع العربي أن تصحح مساره ، لكن التداعيات غير المباشرة لعملية التدافع السياسي وتصحيح المسار، وتدخلات القوى الاقليمية لتحقيق مصالحها ، أدت إلى حرف البوصلة السياسية عن وجهتها النهائية التي كانت تتطلع إليها الشعوب العربية .